مليانة خميس جامعة
الاجتماعية العلوم كلية
اساسي تكوين الاولى السنة
عكاك:الاستاذ

محاضرات مقياس مدخل للأنثربولوجيا

مقدمـــــــــــــــــة:

يرى الكثير من العلماء والباحثين أن جميع المجتمعات تمر من خلال عملية تطورية واحدة من أكثرها بدائية إلى أكثرها تطورا ولأن الأنثروبولوجيا تهتم بالمجتمعات البدائية أكثر، كانت دراسة هذه المجتمعات تمثل ميلاد الأنثروبولوجيا، هذه الأخيرة كعلم مستقل له ميدانه ومنهجه وله طريقته الخاصة ومقارنته المستقلة لم يظهر إلا في نهاية القرن التاسع عشر، فالأنثروبولوجيا كانت في الحقيقة في البداية موجودة في المقامات الفلسفية والأمثلة الشعبية أي ضمن نطاق كل ما يدرس الإنسان في شتى جوانب حياته وعلاقته مع ذاته والآخرين ومع الكون وما وراء الكون .ولأن الأنثروبولوجيا علم له صلة بمعظم العلوم الأخرى فإن له عدة فروع متخصصة كما له مصطلحاته ومفاهيمه الخاصة .

لقد اتّسعت مجالات البحث والدراسة في هذا العلم الجديد، وتداخلت موضوعاته مع موضوعات بعض العلوم الأخرى، ولا سيّما علوم الأحياء والاجتماع والفلسفة .كما تعدّدت مناهجه النظرية والتطبيقية، تبعاً لتعدّد تخصّصاته ومجالاته، ولا سيّما في المرحلة الأخيرة حيث التغيرات الكبيرة والمتسارعة، التي كان لها آثار واضحة في حياة البشر كأفراد و كمجتمعات، حيث تعكس بنيته الأساسية والقيم السائدة فيه، وتخدم مصالحه في التحسين والتطوير.

أولاً :مفهوم الأنثروبولوجيا، طبيعتها وأهدافها:

1-1- تعريف الأنثربولوجيا:

إنّ لفظة أنثروبولوجياAnthropology ، هي كلمة إنكليزية مشتقّة من الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين : أنثروبوس Anthropos، ومعناه " الإنسان " و لوجوسLocos ، ومعناه " علم ." وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ " علم الإنسان " أي العلم الذي يدرس الإنسان).

ولذلك، تعرّف الأنثروبولوجيا، بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة .. ويقوم بأعمال متعدّدة، ويسلك سلوكاً محدّداً؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل، ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان علماً متطوّراً، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله.

كما تعرّف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنّها " علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً .

فالأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية، فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض، اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطوّر الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسيّة واقتصادية وقرابية ودينية وقانونية.

وهذا يتوافق مع تعريف تايلور الذي يرى أنّ الأنثروبولوجيا" : هي الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان "إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان، وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية .وبهذا المعنى، تتناول الأنثروبولوجيا موضوعات مختلفة من العلوم والتخصّصات التي تتعلّق بالإنسان.

ومن الناحية الاصطلاحية نجد تصورين أساسيين لهذا العلم:

- **التصور الأول:** هو التصور الأمريكي الذي ينظر للأنثروبولوجيا كعلم يهتم بدراسة الإنسان من الناحيتين العضوية والثقافية على حد سواء ويستخدم الأمريكيون مصطلح الأنثروبولوجيا الجسمية أو الفيزيقية للإشارة إلى دراسة الجانب العضوي التطوري الحيوي للإنسان، بينما يستخدمون مصطلح الأنثروبولوجيا الثقافية لمجموع التخصصات التي تدرس النواحي الثقافية والاجتماعية لحياة الإنسان يدخل في ذلك الدراسات المتعلقة بالإنسان القديم(الأركولوجيا)، كما تتناول الأنثروبولوجيا الثقافية دراسة لغات الشعوب الأولية واللهجات المحلية والتأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة بصفة عامة وذلك في إطار ما يعرف بعلم اللغة.

وهذا ما أشارت إليه الباحثة الأنثربولوجية الأمريكية مارجريت ميد(1901-1979)" بأننا ندرس الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وسائر الأماكن... بتحليل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، ووصف وتحليل النظم الإجتماعية والتكنولوجية..، وبحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصاله.

- **التصور الثاني:** هو التصور الأوروبي للأنثروبولوجيا وهو مختلف من بلد لآخر نظرًا لاختلاف المرجعية الثقافية والإيديولوجية والمصالح والأهداف، فقد كان يقصد بالأنثروبولوجيا دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان حسب تعبير الباحث الفرنسي " جان بورابيه"، واتسعت الأنتروبولوجيا بهذا المعنى في غالب اوربا ثم تنوعت لتشمل الدراسة المقارنة بين الإنسان والحيوان وبين السلالات البشرية بل وحتى الدراسة المقارنة بين الذكور والإناث وصلة ذلك بالأدوار الاجتماعية، وقد اصطلح الفرنسيون على الأنثروبولوجيا الاجتماعية" بالأثنولوجيا "و"الأثنوغرافيا "وهم يدرسونها تحت مظلة علم الاجتماع، أما الإنكليز فأسموها بالأنثروبولوجيا الاجتماعية وتعاملوا معها كعلم قائم بذاته لا يدرج تحته أي من الأركولوجيا أو علم اللغويات وهذا ما ساعدهم على وضع نماذج نظرية تشرح أبنية المجتمعات وتفسر الآليات والوظائف التي تساعد على استمرارية الحياة الاجتماعية وتماسكها، وبهذا خرج إلى الوجود ما يشار إليه مثلا بأنثروبولوجيا القرابة أو الدين أو الاقتصاد أو النظم السياسية وغير ذلك مما يسير ضمن إطار الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

ومن رواد الفكر الأنثربولوجي الإنجليزي " إدوارد إيفانز بيريتشا" حيث يرى بأن مهمة الأنثربولجيا دراسة السلوك الاجتماعي من خلال الاهتمام بدراسة النظم الاجتماعية كالعائلة، القرابة، العشيرة، النظم السياسية والدينية، والاقتصادية، سواءً تعلق الأمر بالمجتمعات القديمة أو المعاصرة، الأمر الذي يساهم في فهم وتفسير وتحليل العلاقة بين هذه النظم ويساعد على اجراء المقارنة، وكيفية بنائها ووظائفها ودورها في الحفاظ على على الاستقرار والتماسك الاجتماعي.

وبشكل عام يمكن تقسيم الأنثروبولوجيا إلى فرعين رئيسين يتشعب عنهما مجموعة كبيرة من الفروع .

الفرع الأول :هو الأنثروبولوجيا الحيوية أو الفيزيقية أو الطبيعية، وهي فرع قديم ظهر في أواخر القرن الثامن عشر تحت تأثير الأفكار الداروينية وهو يهتم بدراسة الإنسان من حيث سماته الجسمية والتشريحية كشكل الجمجمة وطول القامة، كما يدرس الإنسان في نشأته الأولى وفي تطوره عن

الرئيسيات وفي كيفية اكتسابه السمات والخصائص السلالية التي تميزه عن غيره من الأجناس والأنواع الحيوانية.

أما الفرع الثاني :فهو الأنثروبوبوجيا الثقافية:(بشقيها الاجتماعي والثقافي): وهي تهم بدراسة منتجات الإنسان الثقافية على اعتبار أنه نوع يتميز عن بقية الأنواع الحيوانية بالثقافة وهذا الفرع تندرج تحته مجموعة من المباحث الأساسية هي علم اللغويات الأنثروبولوجية التي تقوم بدراسة اللغات وتاريخها دراسة بحثية وصفية بغية تحديد أصول اللغات الإنسانية بالإضافة للأنتروبولوجيا الاجتماعية التي تنقسم بدورها إلى عدة فروع سياسية وقانونية .

1-2- طبيعة الأنثروبولوجيا: إنّ الشعوب الناطقة باللغة الإنكليزية جميعها، تطلق على علم الأنثروبولوجيا " علم الإنسان وأعماله " بينما يطلق المصطلح ذاته في البلدان الأوروبية الأخرى، على "دراسة الخصائص الجسمية للإنسان" ، ويصل هذا الاختلاف إلى طبيعة علم الأنثروبولوجيا .. فبينما يعني في أوروبا الأنثروبولوجيا الفيزيقية، فإنّ الأمريكيين يستخدمون مصطلح الإثنولوجيا أو الإثنوغرافيا لوصف الإثنوجرافيا الثقافية والتي يطلق عليها البريطانيون الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

ففي إنكلترا مثلاً، يطلق مصطلح الأنثروبولوجيا، على دراسة الشعوب وكياناتها الاجتماعية، مع ميل بالتركيز على دراسة الشعوب البدائية .أمّا في أمريكا، فيرى العلماء أنّ الأنثروبولوجيا، هي علم دراسة الثقافات البشرية البدائية والمعاصرة، في حين أنّ علماء فرنسا يعنون بهذا المصطلح، دراسة الإنسان من الناحية الطبيعية، أي " العضوية. فعلم الأنثروبولوجيا يركّز اهتمامه على كائن واحد، هو الإنسان، ويحاول فهم أنواع الظواهر المختلفة التي تؤثّر فيه، ويحاول فهم كلّ ما يمكن فهمه ومعرفته عن طبيعة هذا المخلوق الغريب وفهم سلوكه الذي يفوق طبيعته الجسمية غرابة.

فقد حدّدت الباحثة الأمريكية **"مارغريت ميد** طبيعة علم الأنثروبولوجيا وأبعاده، بقولها **"**إنّنا نصنّف الخصائص الإنسانية للجنس البشري البيولوجية والثقافية كأنساق مترابطة ومتغيّرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطوّرة .كما نهتمّ أيضاً بوصف النظم الاجتماعية والتكنولوجية وتحليلها، إضافة إلى البحث في الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته .

1-3- أهداف دراسة الأنثروبولوجيا :

1- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كلّ ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم، في الحياة اليوميّة.
2- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوّري الحضاري العام للإنسان(بدائي -زراعي -صناعي – معرفي –تكنولوجي).
3- تحديد أصول التغيّر الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغيّر وعملياته بدقّة علمية .. وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.
4- استنتاج المؤشّرات والتوقعّات لاتّجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية / الحضارية التي تتمّم دراستها.

ثانيًا: الاثنولوجيا والإثنوغرافيا:

1-2- الأثنوغرافيا:

تعرف الإثنوغرافيا لغة بوصف ثقافات الشعوب المشتقة من الأصل اليوناني: **ethno** وتعني العرق أو الجنس أو شعب، و**graphy** وتعني وصف. بمعني وصف ثقافة شعب أو جنس من الشعوب وصف شامل.

وبذلك تعني بالدراسة الوصفية لأسلوب حياة شعب معين أو مجتمع من المجتمعات خلال فترة زمنية ومكان معينين، وتهتم بدراسة الجوانب الثقافية والاجتماعية مثل العادات والتقاليد والقيم والادوات والاجهزة المستعملة للعمل والانتاج والاسلحة، والفنون والمأثورات الشعبية وأساليب الأكل ونمط اللباس والاكل والعيش والسكن...الخ.

يرى الباحث باتون**patton** أن البحث الاثنوغرافي يهتم بدراسة الثقافة بشكل خاص من خلال الاجابة على الاسئلة: ماهي ثقافة هؤلاء الناس؟ وهل لجماعة معينة تعيش لفترة ومنية أن تكون ثقافة خاصة بها؟ وما هو تأثير هذه الثقافة على سلوكهم وأسلوب حياتهم، وما هي نظرتهم لوقعهم الاجتماعي والثقافي الذي يعيشون فيه؟.

2-2- الإثنولوجيا: وتعني بالدراسة التحليلية المقارنة للمادة الإثنوغرافية، وتعني بالعلم الذي يهتم بتجميع المادة الاثنوغرافية بصورتها المقارنة وتحليلها.

وهو علم يهتم بتحليل الظواهر الثقافية والاجتماعية السائدة لدى شعوب الأرض وموضوعها الرئيسي هو الثقافة، وترتكز على دراسة سلوك الإنسان أينما وجد سواء في المنطقة القطبية الشمالية أو في الصحراء في الشرق أو الغرب في جزر منعزلة أو مدن كبرى في الأودية أو المحيطات وكلمة الأثنولوجيا ذات أصل يوناني» أثنوس «بمعنى دراسة الشعوب فهي تدرس خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية أي دراسة الصفات والخصائص المميزة لأجناس الإنسان من حيث الملامح الفيزيقية والخلقية السائدة بين بني البشر وكذلك العلاقات القائمة التي تربط بين الأجناس والشعوب، كما تهتم الأثنولوجيا بمشكلة تفسير أوجه التشابه والاختلاف بين الثقافات الإنسانية ومثال ذلك دراسة تاريخ شعب ما :من أين أتى؟ أي طريق سلك؟ كيف ومتى احتل منطقته؟ اتصاله بغيره أو عدمه؟ تحديد أوجه التشابه والاختلاف بغيره

ثالثًا: نشأة الأنثروبولوجيا وتاريخها:

3-1- الأنثروبولوجيا في العصر القديم:

يجمع معظم علماء الاجتماع والأنثربولوجيا، على أنّ الرحلة التي قام بها المصريون القدماء في عام 1493قبل الميلاد إلى بلاد بونت) الصومال حالياً(بهدف التبادل التجاري، تعدّ من أقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب .وقد كانت الرحلة مؤلّفة من خمسة مراكب، على متن كلّ منها /31/ راكباً، وذلك بهدف تسويق بضائعهم النفيسة التي شملت البخور والعطور. ونتج عن هذه الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام أفريقيا .وتأكيداً لإقامة علاقات معهم فيما بعد، فقد صوّرت النقوش في معبد الدير البحري، استقبال ملك وملكة بلاد / بونت / لمبعوث مصري.

3-1-1-**عند اليونانيين القدماء:** يعدّ المؤرخ الإغريقي اليوناني هيرودوتسHerodotus ، الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان رحالة محبّاً للأسفار، أول من صوّر أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة وجود تنوّع وفوارق فيما بينها، من حيث النواحي السلالية والثقافية واللغوية والدينية . ولذلك، يعتبره معظم مؤرّخي الأنثربولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأوّل في التاريخ.

فهو أول من قام بجمع معلومات وصفيّة دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية (حوالي خمسين شعباً) ، حيث تناول بالتفصيل تقاليدهم وعاداتهم، وملامحهم الجسميّة وأصولهم السلالية . إضافة إلى أنّه قدّم وصفاً دقيقاً لمصر وأحوالها وشعبها، وهو قائل العبارة الشهيرة" : مصر هبة النيل. " وممّا يقوله في عادات المصريين القدماء " : إنّه في غير المصريين، يطلق كهنة الآلهة شعورهم، أمّا في مصر فيحلقونها .ويقضي العرف عند سائر الشعوب، بأن يحلق أقارب المصاب رؤوسهم في أثناء الحداد، ولكن المصريين إذا نزلت بساحتهم محنة الموت، فإنّهم يطلقون شعر الرأس واللحية "

وكذلك نجد أنّ أرسطو 322 -348) ق.م (كان من أوائل الذين وضعوا بعض أوليات الفكر التطوّري للكائنات الحيّة، وذلك من خلال ملاحظاته وتأمّلاته في التركيبات البيولوجية وتطوّرها في الحيوان .. كما

ينسب إليه أيضاً، توجيه الفكر نحو وصف نشأة الحكومات وتحليل أشكالها وأفضلها، الأمر الذي يعتبر مساهمة مبدئية وهامة في دراسة النظم الاجتماعية والإنسانية(فهيم، 1986، ص46).

2-1-3- عند الرومان: امتدّ عصر الإمبراطورية الرومانية حوالي ستة قرون، تابع خلالها الرومان ما طرحه اليونانيون من مسائل وأفكار حول بناء المجتمعات الإنسانية وطبيعتها، وتفسير التباين والاختلاف فيما بينها، ولكنّهم لم يأخذوا بالنماذج المثالية المجرّدة للحياة الإنسانية، بل وجّهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس والمحسوس، ومع ذلك لا يجد الأنثروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصيلة في نشأة علم مستقلّ لدراسة الشعوب وثقافاتهم، أو تقاليد راسخة لمثل هذه الدراسات.

ولكن، يمكن أن يستثنى من ذلك، أشعار **كاروس لوكرتيوس** التي احتوت على بعض الأفكار الاجتماعية الهامة .فقد تناول موضوعات عدّة عرضها في ستة أبواب رئيسة، ضمنّها أفكاره ونظرياته عن المادة وحركة الأجرام السماوية وشكلها، وتكوين العالم .. وخصّص الباب السادس لعرض فكرتي : التطوّر والتقدّم، حيث تحدّث عن الإنسان الأوّل والعقد الاجتماعي، ونظامي الملكية والحكومة، ونشأة اللغة، إضافة إلى مناقشة العادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى .

وقد رأى بعض الأنثروبولوجيين، أنّ **لوكرتيوس** استطاع أن يتصوّر مسار البشرية في عصور حجرية ثمّ برونزية، ثمّ حديدية .. بينما رأى بعضهم الآخر في فكر لوكرتيوس، تطابقاً مع فكر **لويس مورجان** .L Morgan(1818-1881) أحد أعلام الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر .

3-1-3-عند الصينيين القدماء:

كان الصينيون القدماء يشعرون بالأمن والهدوء داخل حدود بلادهم، وكانوا مكتفين ذاتياً من الناحية الاقتصادية المعاشية، حتى أن تجارتهم الخارجية انحصرت فقط في تبادل السلع والمنافع، من دون أن يكون لها تأثيرات ثقافية عميقة .فلم يعبأ الصينيون في القديم بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، ومع ذلك، لم يخلُ تاريخهم من بعض الكتابات الوصفية لعادات الجماعات البربرية، والتي كانت تتّسم بالازدراء والاحتقار .

وهذا الاتّجاه نابع من نظرة الصينيين القدماء العنصرية، إذ كانوا يعتقدون – كالرومان – أنّهم أفضل الخلق، وأنّه لا وجود لأيّة حضارة أو فضيلة خارج جنسهم، بل كانوا يرون أنّهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيء .. ولكي يؤكّد ملوكهم هذا الواقع، أقاموا " سور الصين العظيم " حتى لا تدنّس أرضهم بأقدام الآخرين.

3-2- الأنثربولوجيا في العصور الوسطى:

1-2-3-العصور الوسطى في أوربا :

يذكر المؤرّخون أنّه في هذه العصور الوسطى تدهور التفكير العقلاني، وأدينت أيّة أفكار تخالف التعاليم المسيحيّة، أو ما تقدّمه الكنيسة من تفسيرات للكون والحياة الإنسانية، سواء في منشئها أو في مآلها .ولكن إلى جانب ذلك، كانت مراكز أخرى وجّهت منطلقات المعرفة، وحدّدت طبيعة الحضارة الغربية في تلك العصور، كبلاط الملوك مثلاً، الذي كان يضمّ في العادة، فئات من المثقفين كرجال الإدارة والسياسة والشعراء.

يضاف إلى ذلك التوسّع في دراسة القانون) جامعة بولونيا (ودراسة الفلسفة واللاهوت) جامعة باريس (ممّا كانت لـه آثار واضحة في الحياة الأوربية العامة) السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية (ومهّد بالتالي للنهضة التي شهدتها أوروبا بعد هذه العصور.

لقد ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدّة للكتابة عن بعض الشعوب، إلاّ أنّها اتّسمت – غالباً -بالوصف التخيّلي، بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع .مثال ذلك، ما قام به الأسقف / إسيدور Isidore /الذي عاش ما بين (636 -560) حيث أعدّ في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة، وأشار

فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية، تتّسم بالسطحية والتحيّز .
وممّا ذكره، أنّ قرب الشعوب من أوربا أو بعدها عنها، يحدّد درجة تقدّمها، فكلّما كانت المسافة بعيدة، كان الانحطاط والتهور الحضاري مؤكّدا لتلك الشعوب .ووصف الناس الذين يعيشون في أماكن نائية، بأنّهم من سلالات غريبة الخَلق، حيث تبدو وجوههم بلا أنوف.
وقد ظلّت تلك المعلومات سائدة وشائعة حتى القرن الثالث عشر، حيث ظهرت موسوعة أخرى أعدّها الفرنسي / باتولو ماكوس/Batholo Macus ، والتي حظيت بشعبية كبيرة، على الرغم من أنّها لم تختلف كثيراً عن سابقتها في الاعتماد على الخيال).

2-2-3-العصور الوسطى عند العرب:

وتمتدّ من منتصف القرن السابع الميلادي، وحتى نهاية القرن الرابع عشر تقريباً .حيث بدأ الإسلام في الانتشار، وبدأت معه بوادر الحضارة العربية الإسلامية آنذاك بالتكوين والازدهار .وقد تضمّنت هذه الحضارة : الآداب والأخلاق والفلسفة والمنطق، كما كانت ذات تأثيرات خاصة في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية.
وقد اقتضت الأوضاع الجديدة التي أحدثتها الفتوحات العربية الإسلامية، الاهتمام بدراسة أحوال الناس في البلاد المفتوحة وسبل إدارتها، حيث أصبح ذلك من ضرورات التنظيم والحكم.
ولذلك، برز العرب في وضع المعاجم الجغرافية، **كمعجم البلدان** لياقوت الحموي، وكذلك إعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في الرابع عشر ميلادي مثل **مسالك الأمصار** لإبن فضل الله العمري، و **نهاية الأرب في فنون العرب** للنويري.
وإلى جانب اهتمّام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران ، فقد تميّزت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصيّة، وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية.
وهناك من تخصّص في وصف إقليم واحد مثل **البيروني** الذي عاش ما بين 440 – 362ه ووضع كتاباً عن الهند بعنوان " **تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة** " وصف فيه المجتمع الهندي بما فيه من نظم دينية واجتماعية وأنماط ثقافية .واهتمّ أيضاً بمقارنة تلك النظم والسلوكيات الثقافية، بمثيلاتها عند اليونان والعرب والفرس .وأبرز البيروني في هذا الكتاب، حقيقة أنّ الدين يؤدّي الدور الرئيس في تكبيل الحياة الهندية، وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات، وصياغة القيم والمعتقدات.
كما كانت لرحلات ابن بطوطة وكتاباته خصائص ذات طابع أنثروبولوجي، برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكاتهم وقيمهم وتقاليدهم .فمّما كتبه في استحسان أفعال أهل السودان " : فمن أفعالهم قلّة الظلم، فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه . ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاضب .ومنها عدم تعرّضهم لمال من يموت في بلادهم من البيضان) البيض والأجانب (ولو كان القناطير المقنطرة .وإنّما يتركونه بيد ثقة من البيضان، حتى يأخذه مستحقّه
أمّا كتاب ابن خلدون " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " فقد نال شهرة كبيرة وواسعة بسبب مقدّمته الرئيسة وعنوانها " : في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان، والكسب والمعاش والمصانع والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب ." وتعتبر هذه المقدّمة عملاً أصيلاً في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال أفريقيا، ولا سيّما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كلّ ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة .وقد شكّلت موضوعات هذه المقدّمة – فيما بعد – اهتماماً رئيسياً في الدراسات الأنثروبولوجية .

ومن أهمّ الموضوعات التي تناولها ابن خلدون في مقدّمته، والتي لها صلة باهتمامات الأنثروبولوجيا، هي تلك العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية .فقد ردّ ابن خلدون – استناداً إلى تلك الدعامة – اختلاف البشر في ألوانهم وأمزجتهم النفسيّة وصفاتهم الجسمية والخلقية، إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها أيضاً عاملاً هاماً في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية.وقد سيطرت هذه الفكرة على أذهان علماء الاجتماع في الشرق والغرب – على حدّ سواء – في العصور الوسطى .

3-3-الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الأوروبية :

يتّفق المؤرّخون على أنّ عصر النهضة في أوربا، بدأ في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية ، مترافقة بحركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية .وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي، في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر.

إنّ هذه التغيّرات مجتمعة أدّت إلى ترسيخ عصر النهضة أو ما سمّي (عصر التنوير) وأسهمت بالتالي في بلورة الانثربولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر، كعلم يدرس تطوّر الحضارة البشرية في إطارها العام وعبر التاريخ الإنساني .الأمر الذي استلزم توافر الموضوعات الوصفية عن ثقافات الشعوب وحضاراتها، في أوروبا وخارجها، من أجل المقارنات، والتعرّف إلى أساليب حياة هذه الشعوب وترتيبها بحسب مراحل تطوريّة معيّنة، بحيث يضع ذلك أساساً لنشأة علم الأنثروبولوجيا.

لعلّ أهمّ رحلة أو استكشافيّة مشهورة أثّرت في علم الأنثروبولوجيا، ما قام بها **كريستوف كولومبوس** إلى القارة الأمريكيـة ما بين (1502 -1492) حيث زخرت مذكّراته عن مشاهداته واحتكاكاته بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتّسمت بالموضوعية نتيجة للمشاهدة المباشرة. وممّا قاله في وصف سكان جزر الكاريبيان في المحيط الأطلسي :

"إنّ أهل تلك الجزركلّهم عراة تماماً، الرجال منهم والنساء، كما ولدتهم أمَّهاتهم .ومع ذلك، فثمّة بعض النساء اللواتي يغطين عورتهنّ بورق الشجر، أو قطعة من نسيج الألياف تصنع لهذا الغرض .ليست لديهم أسلحة ومواد من الحديد أو الصلب وهم لا يصلحون لاستخدامها على أيّة حال .ولا يرجع السبب في ذلك إلىضعف أجسادهم، وإنّما إلى كونهم خجلون ومسالمون بشكل يثير الإعجاب.

وكتب في وصفه لسكان أمريكا الأصليين " : إنّهم يتمتّعون بحسن الخَلق والخُلُق، وقوّة البنية الجسدية .كما أنّهم يشعرون بحرية التصرّف فيما يمتلكون، إلى حدّ أنّهم لا يتردّدون في إعطاء من يقصدهم أيّاً من ممتلكاتهم، علاوة على أنّهم يتقاسمون ما عندهم برضى وسرور

وهكذا كان لرحلات كولومبس واكتشافه العالم الجديد) أمريكا (عام1492 أثرها الكبير في إدخال أوروبا حقبة جديدة، وفي تغيير النظرة إلى الإنسان عامة، والإنسان الأوروبي خاصة، ممّا أثّر بالتالي في الفكر الأنثروبولوجي .وذلك، لأنّ هذه الاكتشافات الجغرافية الاجتماعية وما تبعها من معرفة سكان هذه الأرض بميزاتهم وأنماط حياتهم، أظهرت بوضوح تنوّع الجنس البشري، وأثارت كثيراً من المسائل والدراسات حول قضايا النشوء والتطوّر عند الكائنات البشرية .

وظهر إلى جانب **آكوستا** الإسباني في الدراسة الأثنوجرافية عن الشعوب البدائية، عالم الاجتماع الفرنسي، **ميشيل دي مونتاني** M.De. Montaigne الذي عاش ما بين (1532-1592) وأجرى مقابلات مع مجموعات من السكان الأصليين في أمريكا المكتشفة، والذين أحضرهم بعض المكتشفين إلى أوربا .وبعد إن جمع منهم المعلومات عن العادات والتقاليد السائدة في موطنهم الأصلي، خرج بالمقولة التالية " : إنّه لكي يفهم العالم فهماً جيّداً، لا بدّ من دراسة التنوّع الحضاري للمجتمعات البشرية واستقصاء أسباب هذا التنوّع " ويكون بذلك قد طرح فكرة النسبية الأخلاقية.

وممّا قاله في هذا الإطار ما كتبه في مقاله الشهير عن " أكلة لحوم البشر " وجاء فيه " : يبدو أنّ ليس لدينا أي معيار للحقيقة والصواب، إلاّ في إطار ما نجده سائداً من آراء وعادات على الأرض التي نعيش عليها –أوروبا-، حيث نعتقد بوجود أكمل الديانات، وأكثر الطرائق فاعلية في الحصول على الأشياء.
إنّ هؤلاء الناس أكلة لحوم البشر فطريون / طبيعيون، مثل الفاكهة البريّة .فقد بقوا على حالهم البسيطة، كما شكّلتهم الطبيعة بطريقتها الخاصة، وتحكّمت فيهم قوانينها وسيّرتهم". ومن هذه الرؤية، لاقى كتابه الشهير " المقالات " الصادر عام1579 ، اهتماماً كبيراً لدى مؤرخي الفكر الأوروبي عامة، والفكر الفرنسي خاصة.
ويأتي القرن الثامن عشر، ليحمل معه كتابات جان جاك روسوJ.J. Rossow ، التي احتلّت أهميّة كبيرة لدى مؤرّخي علم الأنثروبولوجيا، وذلك بالنظر لما تضمنته في دراستها الأثنوجرافية للشعوب المكتشفة (المجتمعات البدائية) مقارنة مع المجتمعات الغربية الأوروبية .

رابعًا: فروع الأنتروبولوجيا :

4-1- الأنثروبولوجيا(الطبيعية) الفيزيقية :عموما هي تدرس السمات الفيزيقية للإنسان، أي من حيث هو كائن فيزيقي طبيعي، فتدرس الإنسان العضوي في نشأته الأولى وفي تطوره عن الرئيسيات حتى اكتسب الصفات والخصائص الإنسانية في صورة الإنسان العاقل ولذلك فهي تعالج مختلف السمات الفيزيقية مثل حجم الجمجمة وارتفاع القامة ولون البشرة ونوع نسيج الشعر وشكل الأنف ولون العين .
كما تتصل الأنتروبولوجيا الفيزيقية بدراسة التغيرات العنصرية وخصائص الأجناس وانتقال السمات الفيزيقية وتتبع مورثات الإنسانية، وكذلك تدرس تطور الإنسان منذ مراحله وأشكاله الأولية التي كانت تربطه بعالم القردة العليا .

4-1-1- تعريف الأنثروبولوجيا العضوية(الطبيعية): تعرّف بوجه عام، بأنّها العلم الذي يبحث في شكل الإنسان من حيث سماته العضوية، والتغيّرات التي تطرأ عليها بفعل المورّثات .كما يبحث في السلالات الإنسانية، من حيث الأنواع البشرية وخصائصها، بمعزل عن ثقافة كلّ منها، وهذا يعني أنّ الأنثروبولوجيا العضوية، تتركّز حول دراسة الإنسان -الفرد بوصفه نتاجاً لعملية عضوية، ومن ثمّ دراسة التجمعّات البشرية-السكانية، وتحليل خصائصها .
إنّ الموضوع الأساسي في الأنثروبولوجيا العضوية(الفيزيائية) هو الاختلاف البيولوجي الذي يطرأ على الكائن الإنساني في الزمان والمكان .. والشيء الذي ينتج غالبية هذه الاختلافات، هو اتحاد المقومات الوراثية مع البيئة .. فثمّة تأثيرات بيئية لها صلة مباشرة بهذا الموضوع، مثل : الحرارة، البرودة، الرطوبة، أشعة الشمس، الارتفاع، والمرض...، وهذا التركيز على اختلاف الكائن الإنساني عن غيره من الرئيسات، يضم خمسة تأثيرات محدّدة تدخل في سياق الأنثروبولوجيا العضوية، وتتمثل في: 1- نشأة الكائن الشبيه بالإنسان، 2-التركيب الوراثي للإنسان، 3- نموّ الإنسان وتطوّره، 4- المرونة الموجودة في بيولوجيا الإنسان (قدرة الجسم على التكيّف مع ضغوطات الطبيعة)، 5-التركيب البيولوجي وما يتبعه من عملية النشوء والسلوك والحياة الاجتماعية.
وتقنسم الأنثروبولوجيا العضوية بحسب طبيعة الدراسة، إلى فرعين أساسيين، هما:

- **الحفريات البشرية:** وهو العلم الذي يدرس الجنس البشري منذ نشأته، ومن ثمّ مراحله الأولية وتطوّره، من خلال ما تدلّ عليه الحفريات والآثار المكتشفة .أي أنّه يتناول بالبحث نوعنا البشري واتجاهات تطوّره، ولا سيّما ما كان منها متّصلاً بالنواحي التي تكشفها الأحافير.
- **الأجناس البشرية:** وهو العلم الذي يدرس الصفات العضوية للإنسان البدائي والإنسان الحالي، من حيث الملامح الأساسية والسمات العضوية العامة، ولذا كرّس علماء الأجسام

معظم جهودهم لدراسة الأصناف البشرية ورصد الفروقات بينها، ومحاولة معرفة الأسباب المحتملة لهذه الفروقات، وأنّ اهتمامهم انصبّ على تصنيف الأجناس البشرية المختلفة على أساس العرق، وإيجاد العلاقات المحتملة بين هذه الاعراق.

واستناداً إلى هذه الاختلافات الشكلية والسلوكية، فقد جرى الاتّفاق بين علماء الإنسان على تقسيم البشر إلى ثلاثة أجناس أو عروق رئيسيّة، وهي(أبو هلال، 1974، ص 107):

العرق الأبيض القوقازي : (يمتاز هذا العرق بصفات خاصة في) :علو الأنف ودقّته، اعتدال الشفة وبروز الفكّين، استقامة العينين، تموّج الشعر وتجعّده، وكثرة شعر الجسم وكثافة اللحية، ويندرج ضمن هذا العرق : العرق الهندي – عرق البحر الأبيض المتوسط، العرق الألبي(وسط أوروبا)، العرق النوردي(الإيرانيون، الأفغان، البربر، المصريون، والأثيوبيون).

العرق الأسود الزنجي: يمتاز بالأنف المتوسّط والشفة الغليظة، والفك البارز بشكل كبير . والعيون المستقيمة والشعر القصير الأشعث، والرأس المستطيل، ويمثّل هذا العرق:زنوج أمريكا، أفريقيا الوسطى، والحاميون النيليون في مصر.

العرق الأصفر المنغولي: يمتاز هذا العرق ببشرة معتدلة الدكنة، ويتراوح بين اللون النحاسي البنّي كما عند الهنود الحمر، واللون الأصفر الفاتح كما عند الصينيين الشماليين، ويمتاز هذا العرق باستقامة الشعر ونعومته على الرأس، وقلّة كثافته على الجسم والذقن ، ونجد هذه العرق عند المغول الأصليون(الأسكيمو، اليابانيون، الكوريون، والصينيون) والأتراك والأندونيسيون، والهنود الأمريكيون، وسكان التيبت .

إنّ هذه الاختلافات الشكلية الظاهرة بين العروق(الأنواع) الثلاثة، هي العوامل الأساسية التي يعتمد عليها في الدراسات الأنثروبولوجية، للتمييز بين الأفراد والمجتمعات، إلاّ أنّ بعض العلماء يضيفون عاملاً آخر للتمييز بين عرق وآخر، يتمثّل في القدرات الذكائية(نسبة الذكاء)، مع أنّ هذا العامل لم تثبت صحّته، حيث أنّ الزنجي الأسود، على سبيل المثال، لا يقلّ ذكاء عن الأمريكي الأبيض، في حال وفّرت لـه الظروف النمائية والتربوية المناسبة.

4-2- الأنثروبولوجيا الاجتماعية :تدرس السلوك الاجتماعي داخل الجماعة أو المجتمع والانساق الإجتماعية كالعائلة وعلاقات القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية التي لا يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات .

4-3- الأنثروبولوجيا الثقافية: وهي ذلك الفرع الذي يعنى بدراسة السلوك الإنساني في ماضيه وحاضره، والثقافة تشمل قواعد العرف والعادات والتقاليد والمعتقدات والممارسات وغيرها، وتعتبر هي الوسيلة التي تمكنه من الاتصال بالآخرين سواء جماعته المحلية أو الجماعات الأخرى المحيطة بما لها من خصائص اجتماعية في بيئتها الطبيعية المتباينة، ولذلك كان أحد أهداف الأنثروبولوجيا دراسة هذا التباين أو التشابه الثقافي، بالإضافة إلى الاهتمام بتاريخ هذه الثقافات وأصولها ونموها وتطورها .ويمكن القول بصفة عامة أن الثقافة هي كل ما لا يولد به البشر، ومن ثم فهي تشمل مخترعات الإنسان ونتاجه سواء المادي أو غير المادي ومن هنا يمكننا أن نتكلم عن اللغة-الغير مادية -مثلما نتحدث عن السكن-المادي -ضمن المكونات الثقافية .والأنثروبولوجيا الثقافية تغطي مجالا واسعا من المعرفة الإنسانية.

4-3-1-أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية:على الرغم من تعدّد العناصر الثقافية، وتداخل مضموناتها وتفاعلها في النسيج العام لبنية المجتمع الإنساني، فقد اتّفق الأنثروبولوجيون على تقسيم الأنثروبولوجيا الثقافية إلى ثلاثة أقسام أساسيّة، هي: علم الآثار – علم اللغويات – وعلم الثقافات المقارن وفيما يلي شرح لكلّ منها :

1-علم اللغويات: هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحيّة، ولا سيّما المكتوبة منها في السجلاّت التاريخية فحسب، كاللاتينية أو اليونانية القديمة، واللغات الحيّة المستخدمة في الوقت كالعربية والفرنسية والإنكليزية .ويهتمّ دارسو اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاء ناقلاً للثقافة .

إنّ اللغة من الصفات التي يتميّز بها الكائن الإنساني عن غيره من الكائنات الحيّة الأخرى، فهي طريقة التخاطب والتفاهم بين الأفراد والشعوب، بواسطة رموز صوتية وأشكال كلامية متّفق عليها، ويمكن تعلّمها .. علاوة على أنّها وسيلة لنقل التراث الثقافي الحضاري، حيث يمكن استخدام معظم اللغات في كتابة هذا التراث.

ولذلك، يعطي **ليفي ستروس** أهميّة بالغة لِلُّغَةِ ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، إن لم تكن حجر الزاوية في ذلك العلم، وعلى أساس أنّ اللغة هي الخاصية الرئيسة التي تميّز الإنسان عن الكائنات الحيّة الأخرى .ولذلك، يعتبرها الظاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها، فهم كلّ صور الحياة الاجتماعية .وهذا ما يؤكّده في كتابه **المناطق المدارية الحزينة** وهو نوع من السيرة الذاتية في قالب أنثروبولوجي، حيث يقول : حين نقول الإنسان .. فإنّنا نعني اللغة .وحين نقول اللغة، فإنّنا نقصد المجتمع "

وعلى الرغم من أنّ علماء اللغة لم يتمكّنوا من تحديد أسبقية لغة على أخرى، فقد توصّلوا من خلال دراساتهم إلى تصنيف اللغات المختلفة بحسب طبيعتها واستخدامها، في ثلاثة أقسام هي :

-**اللغات المنعزلة** : وهي اللغات التي تتخاطب بها فئات منعزلة عن الفئات الأخرى، ولا تفهمها إلاّ تلك الفئات المتحدّثة بها .وهي لغة لا تكتب وليس لها تاريخ.

-**اللغات الملتصقة :** وهي اللغات التي تتخاطب بها شعوب كبيرة، ولكنّها ملتصقة بهم وبتراثهم .وهي لغات معروفة، ولكن ليس لها قواعد، وإنّما تعتمد على المقاطع والكلمات، مثل :اللغة الصينيّة.

-**اللغات ذات القواعد(النحو والصرف):**وهي اللغات الحديثة التي لها قواعد نحوية وصرفية، تضبط جملها وقوالبها اللغوية، مثل : اللغة العربية، واللغات الأوربية .

2- علم الآثار القديمة (الحفريات):

يعنى بشكل خاص بجمع الآثار والمخلّفات البشرية وتحليلها، بحيث يستدلّ منها على التسلسل التاريخي للأجناس البشرية، في تلك الفترة التي لم تكن فيها كتابة، وليس ثمّة وثائق مدوّنة أومكتوبة عنها.

ويبحث هذا الفرع من علم الأنثروبولوجيا الثقافية، في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولا سيّما الثقافات المنقرضة .ولعلّ علم الآثار القديمة أكثر شيوعاً بين فروع الأنثروبولوجيا، وربّما كانت مكتشفاته مألوفة لدى الشخص العادي أكثر من مكتشفات الفروع الأخرى ومثال ذلك أنّ اسم(توت عنخ آمون) أحد ملوك قدماء المصريين، يكاد يكون معروفاً لدى الأوساط الشعبية العامة .

وعلى الرغم من أنّ الهدف الأوّل من هذه الأبحاث، هو الحصول على معلومات عن الشعوب القديمة، إلاّ أنّ الهدف النهائي يتمثّل في مساعدة القرّاء والدارسين، في تفهّم العمليات المتّصلة بنمو الثقافات أو(الحضارات) وازدهارها أو انهيارها، وبالتالي إدراك العوامل المسؤولة عن تلك التغيّرات.

ومن المعروف لدى علماء الأنثروبولوجيا، أنّ الكتابة ظهرت منذ حوالي أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وما كتب من ذلك التاريخ معروف لدى الدارسين والباحثين، ويمكن بواسطة هذه الآثار المكتوبة معرفة الكثير عن الإنسان .

فعالم الآثار يعتمد في دراسته على البقايا التي خلفها الإنسان القديم، والتي تمثّل طبيعة ثقافاته وعناصرها . وقد توصّل علماء الآثار إلى أساليب دقيقة لحفر طبقات الأرض التي يتوقّع وجود بقايا حضارية فيها .كما

توصّلوا إلى مناهج دقيقة لفحص تلك البقايا وتحديد مواقعها، وتصنيفها من أجل التعرّف إليها، ومن ثمّ مقارنتها بعضها مع بعض .ويستطيع علماء الآثار باستخدام تلك المناهج، استخلاص الكثير من المعلومات عن الثقافات القديمة، وتغيّراتها، وعلاقة كلّ منها بغيرها .

3-علم الثقافات المقارن(الأثنولوجيا): تعتبر الأثنولوجيا من أقرب العلوم إلى طبيعة الأنثروبولوجيا، بالنظر إلى التداخل الكبير فيما بينهما من حيث دراسة الشعوب وتصنيفها على أساس خصائصها، وميزاتها السلالية والثقافية والاقتصادية، بما في ذلك من عادات ومعتقدات، وأنواع المساكن والملابس، والمثل السائدة لدى هذه الشعوب .

الأنثربولوجيا التطبيقية: ظهرت الأنتربولوجيا التطبيقية بعد الحرب العالمية الأولى بغية تقديم توجيهات ومعارف ذات طابع علمي للحكومات والأنظمة المتحكمة في الحياة الاجتماعية والثقافية، لمعالجة بعض المشكلات التي تعاني منها المجتمعات أو القطاعات المتخلفة والتي تعرف تدهور وتخلف في مختلف نواحي الحياة، وهي بذلك تهدف إلى البحث عن كيفية بناء وانشاء مجتمعات مرغوبة متطورة.

ومن التعريفات للأنثربولوجيا التطبيقة تعريف **لوسي مير** أنها علم يسعى للتعرف عن السكان والتعريف بالمجتمعات وعاداتها من اجل مساعدتهم لاتخاذ القرارات الاجتماعية، ويعرفها **حسن شحاته سعفان** بأنها العلم الذي يبين كيف يمكن الإستفادة من من علوم الإنثربولوجيا النظرية في إدارة المجتمعات البدائية وتربيتها والنهوض بها وتطويرها ورفع مستوى وسائل رفاهيتها، ومثال ذلك وضع خطط للتعليم لمجتمع معين، أو وضع خطة لتهيئة مجتمع للحكم الذاتي، ووضخ خطط اقتصادية، والتفسير الديني.

خامسًا: الأنثروبولوجيا وعلاقتها ببعض العلوم: الأنثروبولوجيا وعلاقتها بعلم الاجتماع :

يعدّ علم الاجتماع من أهم العلوم الإنسانية .لذلك، يعرّف بأنّه : العلم الذي يدرس الحياة الاجتماعية بجميع مظاهرها، ويتحرّى أسباب الحوادث الاجتماعية وقوانين تطوّرها(الحصري، 1985، ص 100)، ويعرّف بصورة أوسع، بأنّه : أحد العلوم الإنسانية الهامة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، وهو من العلوم التي تحاول الوصول إلى قوانين وقواعد تفسّر الظواهر الاجتماعية، سواء كانت هذه الظواهر في شكل جماعات بشرية، أو نظم ومؤسّسات اجتماعية أو إنسانية.

وبما أنّ علم الاجتماع يتناول التفاعل الاجتماعي عندما يدرس الجماعة، فإنّ ثمّة تداخلاً كبيراً بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، فكلاهما يدرس البناء الاجتماعي والوظائف الاجتماعية، وهذا ما دعا أحد العلماء إلى القول : إنّ علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، هو فرع من فروع علم الاجتماع المقارن.

وهكذا نجد أنّ ثمّة صلة من نوع ما، بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، بالنظر إلى أنّ كلاً منهما يدرس الإنسان .ويتجاوز الترابط بينهما المعلومات التي يهدف كلّ منهما الحصول عليها، إلى منهجيّة البحث من حيث طريقته وأسلوبه، إلى حدّ تسمّى الأنثروبولوجيا عنده، بعلم الاجتماع المقارن، على الرغم أن أنّها تهتمّ بالجانب الحضاري عن الإنسان ، بينما تقترب دراسة علم الاجتماع من الأنثروبولوجيا

الأنثروبولوجيا وعلاقتها بعلم النفس:

يعرّف علم النفس بأنّه : العلم الذي يهتمّ بدراسة العقل البشري، والطبيعة البشرية، والسلوك الناتج عنهما، أي أنّه : مجموعة الحقائق التي يتمّ الحصول عليها من وجهة النظر النفسيّة.(فراير، 1968، ص32) ، وهذا يعني : أنّه العلم الذي يدرس سلوك الإنسان بهدف فهمه وتفسيره(عيسوي، 1989،ص7). ولذلك، تهتمّ الدراسات النفسيّة بالخصائص الجسميّة

الموروثة، وتحديد علاقاتها بالعوامل السلوكية لدى الفرد، ولا سيّما تلك العلاقة بين الصفات الجسميّة العامة، وسمات الشخصيّة .مع الأخذ في الحسبان العوامل البيئيّة المحيطة بهذه الشخصيّة.

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الأحياء(البيولوجيا) :

فعلم الأحياء يتناول بدراسة الكائنات الحيّة من وحيد الخلية الأبسط تركيباً، وحتى كثير الخلايا والأكثر تعقيداً. ولذلك يعرّف بأنّه : العلم الذي يدرس الإنسان كفرد قائم بذاته، من حيث بنية أعضائه وتطوّرها.

ويرتبط علم الأحياء بالعلوم الطبيعية، ولا سيّما علم وظائف الأعضاء والتشريح وحياة الكائن الحي .وتدخل في ذلك، نظرية التطوّر التي تقول بأن أجسام أجناس الكائنات الحيّة وأنواعها ووظائف أعضائها، تتغيّر باستمرار ما دامت هذه الكائنات تتكاثر وتنتج أجيالاً جديدة ، قد تكون أرقى من الأجيال السابقة، كما هي الحال عند الإنسان .

.

الأنثروبولوجيا بعلم الفلسفة:

تعود كلمة فلسفة إلى الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين: فيلو PHILO سوفيا SOPHY أي فيلوسوفياPHILOSOPHY ، وتعني: حبّ الحكمة أو محبّة الحكمة.

ولكن على الرغم من أصلها الاشتقاقي، فقد اتّخذت عند أرسطو معنى أكثر دقّة وشمولاً، حيث عرّفها بأنّها " :علم المعنى الأكثر شمولاً لكلمة علم ." ويشرح ذلك بقوله " : الفلسفة هي علم المبادىء والأسباب الأولى، غايتها البحث عن الحقيقة برمّتها، وبأكثر أساليب الفكر نظاماً وتماسكاً ." أي أنّها : علم الوجود بما هو موجود، أو الفكر في جوهر وجوده .ولا يمكن بلوغ هذه الغاية إلاّ بإحكام دقيق للفكر، أي بمنهج يستند إلى مبادىء العقل.

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الجيولوجيا والجغرافيا

تساعد الدراسات الجيولوجية التاريخية في تحديد الفترات الزمنية التي عاش فيها كلّ نموذج من أنواع الجنس البشري، نظراً لوجود البقايا العظمية للأسلاف، على شكل بقايا حفرية بين ثنايا القشرة الأرضية الرسوبية والمنضدّة بعضها فوق بعض، وفق خاصية النشوء والتقادم، بحيث يكون أسفلها أقدمها وأعلاها أحدثها.

وهذا يمكّننا من معرفة الفترة الزمنية التي عاش فيها ذلك الإنسان الحفري، إلى جانب معرفة العالم الحيواني الآخر الذي كان يحيط به، من خلال التعرّف إلى البقايا العظمية المستحاثية للأنواع الحيوانية التي كانت تعاصره في بيئة جغرافية واحدة .كما أنّنا نستطيع التعرّف إلى الظروف المناخية التي كانت سائدة عندما كان يعيش هذا الإنسان أو ذاك، في تلك الأزمنة السحيقة من تاريخنا البشري

ثامنًا: مناهج وتقنيات البحث الأنثربولوجي.

قد يكون من المفيد أن نبدأ بالسؤال التالي : هل يعدّ علم الإنسان-الأنثروبولوجيا- علماً؟ حيث يرى الكثير من الباحثين أنه لا يرقى لمستوى العلم كون أنه ليس له منهجية وتقنيات وأدوات خاصة به، غير أن طريقة عمله ميدانيًا التي ينفرد بها عن غيره من العلوم وكيفية الحصول على المعطيات والمعلومات ، بالاضافة إلى الهدف الذي يسعى لتحقيقه يجعل منه علمًا خاصًا منفردًا يختلف عن بقية العلوم.

أولاً -الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق

إذا كان علم الإنسان-الأنثروبولوجيا - ليس علماً، ولا يشبه أبداً أي علم من العلوم التطبيقية، غير أن ميدان البحث هو مخبر عالم الأنثربولوجيا الثقافية - كما يقول – هرسكوفيتز- حيث يذهب الأنثربولوجي لكي يقوم بعمله إلى موطن الشعب الذي اختاره موضوعاً للدراسة، فيستمع إلى أحاديثهم ويزور بيوتهم، ويحضر طقوسهم ويلاحظ سلوكهم العادي .. ويسألهم عن تقاليدهم، ويتآلف مع طريقة حياتهم حتى تصبح لديه فكرة شاملة عن ثقافتهم، أو يحلّل جانباً خاصاً من جوانبها، فعالم الأنثروبولوجيا جامع للمعلومات، يحلّلها ويربطها بمعلومات أخرى، عندما يرجع من الميدان وفي ذلك جانب علمي تطبيقي.

وهكذا، برزت الأنثروبولوجيا الميدانية التطبيقية، علماً يساعد في تحقيق أمرين أساسيين، في المجتمعات المدروسة :

1-حلّ المشكلات الناتجة عن الإدارة والحكم المحلّي، في المجتمعات البدائية والمحلية.

2-معالجة مشكلات التغيير الحضاري السريع في هذه المجتمعات، والمساعدة في التكيّف المناسب.

ثانياً -الباحث الأنثربولوجي والميدان

يدرس عالم الأنثربولوجيا، الشعوب التي يعمل في ربوعها، لأنّه يستطيع أن يحصل منها على المعلومات التي تلقي الضوء على المشكلات الرئيسة، في طبيعة الثقافة وعملها، وفي سلوك الإنسان الاجتماعي، وبهذا يتمكن من دراسة بعض المشكلات العامة، مثل : أثر المناخ أو العرق أو الاستعدادات السيكولوجية الفطرية، أو غيرها من العوامل المؤثرّة في ثقافة الإنسان، وتنوعّ أشكالها وسياق تاريخها

ولذلك ينتهج الباحث الأنثروبولوجي منهجاً محدّداً في بحثه باستخدام مجموعة من الوسائل والأدوات للحصول على بياناته، ويتبع مجموعة من الخطوات قبل القيام بالبحث وفي أثنائه، كما يواجه بعض الصعوبات والمشكلات، عليه أن يتعامل معها ببدائل مناسبة .

فإنّ ثمّة مبادىء أساسية – كما يرى مالينوفسكي -لا بدّ أن يستند إليها الأنثروبولوجي في بحثه الميداني، وهي:

1-أن يكون الباحث الميداني ملمّاً إلماماً تامّاً بالمعلومات الأنثروبولوجية، وأن يكون لديه هدف علمي واضح لموضوع بحثه.

2-أن يعيش الباحث الأنثروبولوجي الميداني، في المجتمع الذي يدرسه، ويقطع اتصاله بالعالم الخارجي بصورة تامّة، ويحصر اهتمامه بالجماعة التي يدرسها.

3- أن يطبّق عدداً من الأساليب، في جمع المعلومات وتبويبها وتفسيرها ..أي أنّ عليه أن يستخدم طرائق عدّة مختلفة من طرائق البحث الميداني، لأنّ بعض الطرائق التي يمكن أن تصلح لدراسة ظاهرة أنثروبولوجية محدّدة، قد لا يصلح تطبيقها في دراسة ظاهرة أخرى .

ثالثاً - الاجراءات الميدانية وأدوات البحث الأنثربولوجي:

فالدراسة الميدانية تتطلّب ما هو أكثر من وجود الباحث ومراقبته السلبية لما هم عليه الناس، لأنّ الباحث يحتاج في ملاحظته إلى التحرّي عن أكثر ما يظهر في أوّل الملاحظة، والإطار المرجعي النظري يمدّه بمجموعة من التساؤلات والموضوعات، وعندما يشاهد واقعة ما، يحاول أن يكتشف العلاقة بينها وبين الإطار المرجعي كلّه.

وهكذا، تختلف وسائل كلّ طريقة وفائدتها عن الأخرى، باختلاف الوضع الذي يجد الباحث نفسه فيه، وباختلاف نمط الثقافة التي يدرسها، أو اختلاف المشكلة الخاصة التي يدرسها .

1-طريقة الملاحظة المباشرة:Direct Observation

هي أحد الأساليب التي يستخدمها الباحث المقيم، في دراسة الشعوب البدائية .ويقوم هذا الأسلوب على مراقبة أو معاينة أفراد الشعب الذي تجري عليه الدراسة، في أثناء تأدية أعمالهم اليوميّة المعتادة .وكذلك حضور المناسبات العامة التي يقيمها أبناء هذا الشعب، كالحفلات والاجتماعات الدينية أو الشعبية والرقص، ومراسم دفن الموتى، وغيرها .. ، وتسجيل ما يجدر تسجيله من حوارات وأغان وتراتيل، وما إلى ذلك من التعبيرات التي يبديها الأفراد في هذه المناسبات.

وتحتاج هذه الطريقة، إلى أن يكون الباحث ملمّاً بأهداف بحثه وبطبيعة المجموعة المدروسة . وأن يتمتّع بقدر كبير من الاهتمام والوعي، بأبعاد الظاهرة التي يقوم بدراستها، وكيفيّة رصد هذه الأبعاد بدقة وموضوعية، حيث يتوقف على ذلك صدق المعلومات، وفائدتها العلميّة.

2- طريقة المشاركة: Participation

وهي الطريقة التي يتبعها الباحث الأنثروبولوجي، أي أن يقوم بأعمال تقوم بها الجماعة المدروسة، وذلك تقرّباً منها وكسباً لودّها، والدخول بالتالي إلى أدقّ التفاصيل في ممارسات أفراد هذه الجماعة، الخاصة والعامة .كأن يمارس الباحث بعض الطقوس الدينية أو الاجتماعية، أو يقوم ببعض الأعمال التي تعدّ من النشاط اليومي للجماعة، ولا سيّما الأعمال اليدوية، الفردية

ومن خلال هذه المعايشة الحيّة للمجتمع المدروس، والمشاركة الفاعلة في مناشطه، يكتسب الباحث مهارة في أداء هذه الأعمال، وقدرة على كتابة تجربته الشخصيّة فيها وممارسته لها . وهذا ما يؤدّي في النهاية إلى تصوير واقع الشعب المدروس، بتفصيلات تتّسم بالشمولية والدقة .

-3طريقة الاستمارة(الاستبانة):

هي من أقدم الطرائق البحثية، وما زالت مستخدمة على نطاق واسع في كثير من الدراسات المسحية / الميدانية .وقد أخذت هذا الاسم من عنوان نشرة أصدرتها لجنة من المعهد الأنثروبولوجي الملكي، التابع لرابطة(تقدّم العلم البريطانية) عام1875 ، ثمّ جرت عليها خمس تنقيحات، إلى أن ظهرت الطبعة السادسة منها عام. 1951

قامت فكرة إعداد استمارة شاملة تغطي جوانب الثقافة المادية، وغير المادية، على ادّعاء الباحثين بأنّ ثقافات الشعوب البدائية جميعها، مهدّدة بالزوال، ولذلك، يجب الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات، طالما هذه الشعوب موجودة .وتؤدّي هذه الطريقة إذا استعملها ملاحظ غير مؤهّل للبحث الأنثروبولوجي، إلى جمع الكثير من الوقائع، ولكنّها تعطي القليل من المعلومات، سواء عن كيفيّة ارتباط هذه الوقائع كلّ منها في الكلّ الذي يؤلّف الثقافة، أو العنصر الإنساني في الحياة اليومية لدى شعب من الشعوب.

4-طريقة الحالة الفرضيّة: Hypothesis Case

تقوم هذه الطريقة على بناء افتراضات حول عناصر لظاهرة اجتماعية /ثقافية، يسعى البحث إلى إثباتها والتحقّق منها، حيث لا تظهر جماعة ما هذه العناصر إلاّ في حوادث أو حالات معيّنة .

وبناء على ذلك، تسعى هذه الطريقة إلى " فصل حالات في حياة الناس تبعاً لأشخاص وعلاقات وحوادث فرضية تتّفق مع النماذج السائدة في ثقافة الجماعة، والتي يستخدمها الباحث لإدارة المناقشات وتوجيهها، مع أفراد الجماعة الموضوعة تحت الدراسة ". ولذلك، فعندما تكون الحوادث مصطبغة بمعنى غيبي سحري مشؤوم، مثل الولادة، أو عندما تتضمّن المسائل الاقتصادية وقائع، لا يريد الفرد أن يكشف عنها إذا كانت تعنيه أو تعني شخصاً آخر، يمكن أن تجري المناقشة بحرية إذا لم يكن الشخص المعني موجوداً.

إنّه لمن المدهش أن يتحوّل الحديث – في أغلب الأحيان - عن حالات وأشخاص فرضيين، إلى مناقشة حالات وأشخاص حقيقيين، ولا سيّما في حالة وصف الحوادث التي مرّت في تجربة المُخبر نفسه، وتتبيّن قيم الثقافة وأهدافها، في آرائهم حول تقييم المعضلات الفرَضيّة، التي يطرحها أحد أفراد الجماعة .

قائـــــــــــــــــــمة المراجـــــــــــــــع:

1- أحمد الخشاب، دراسات انثربولوجية ، دار المعارف، مصر، 1971.
2- أبو هلال، أحمد (1874) مقدّمة في الأنثروبولوجيا التربوية، المطابع التعاونية، الأردن، عمّان
3- أبو زيد، أحمد (2001) الطريق إلى المعرفة، كتاب العربي46 ، مجلّة العربي، الكويت.
4- ابن بطوطة، أبو عبد الله(1968) ، رحلة ابن بطوطة، دار التراث، بيروت.
5- ابن خلدون، عبد الرحمن (1966) مقدّمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة.
6- بيلز، رالف ؛ هويجرا، هاري (1977) مقدّمة في الأنثروبولوجيا العامة، ترجمة : محمد الجوهري وآخرون، دار النهضة المصرية، القاهرة.
7- -بريتشارد، إدوارد (1975) الأنثربولوجيا الاجتماعية، ط5 ، ترجمة : أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية - .
8- الجباوي على (1997) الأنثروبولوجيا – علم الإناسة – جامعة دمشق.
9- هرسكوفيتز، ميليفل .ج (1974) أسس الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة : رباح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق.

10- وصفي، عاطف (1977) الثقافة والشخصيّة، دار المعارف بمصر
11- زرقانة، ابراهيم (1958) الأنثروبولوجيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
12- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الانثربولوجيا في المجالين النظري التطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية،2003.
13- يحي مرسي عيد بدر، أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا، ط1، الجزء الأول، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر،2007 .
14- -كلاكهون، كلايد (1964) الإنسان في المرآة، ترجمة : شاكر سليم، بغداد.
15- -لينتون، رالف (1967) الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت.
16- -لينتون، رالف (1964) دراسة الإنسان، ترجمة : عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت.
17- لبيب، الطاهر (1987) سوسيولوجية الثقافة، دار الحوار، اللاذقية.
18- لطفي، عبد الحميد (1979) الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة.
19- محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية، درا المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر،2005 .
20- مؤنس، محمد (1978) الحضارة – دراسة في أصول وعوامل قيامها وتدهورها، عالم المعرفة، عدد كانون الثاني، الكويت.
21- ناصر، ابراهيم (1985) الأنثروبولوجيا الثقافية) علم الإنسان الثقافي عمّان.
22- سليم، شاكر (1981) قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت.
23- -عيسى، محمد طلعت (1986) مدخل إلى علم الاجتماع، دار المعارف، بيروت.
24- -عيسوي، عبد الرحمن (1989) علم النفس في المجال التربوي، دار العلوم العربية،بيروت
25- -فهيم، حسين (1986) قصّة الأنثروبولوجيا – فصول في تاريخ الإنسان، عالم المعرفة (198)، الكويت
26- فوزي رضوان العربي وفاروق احمد مصطفى، **دراسات في الانثربولوجيا التطبيقية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1982.
27- فراير، هنري، ساركس (1968) علم النفس العام، ترجمة : ابراهيم منصور، بغداد.
28- رشوان، حسين عبد الحميد أحمد (1988) الأنثروبولوجيا في المجال النظري، ط1، الاسكندرية.
29- الخشاب، أحمد (1970) دراسات أنثروبولوجية، دار المعارف بمصر.
30- -خفاجة، محمد صقر (1966) هيرودت يتحدّث عن مصر، دار العلم، القاهرة
31- غانم، عبد الله عبد الغني ورفيقاه (1989) المدخل إلى علم الإنسان ، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.
32- -جابر، سامية (1991) علم الإنسان – مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دار العلوم العربية، بيروت.

33- -رياض، محمد (1974) الإنسان – دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية، بيروت.

34- -فهيم، حسين (1986) قصة الأنثروبولوجيا – فصول في تاريخ الإنسان، عالم المعرفة

35- (198)، الكويت.

36- -لبيب، الطاهر (1987) سوسيولوجيا الثقافة، دار الحوار، اللاذقية.

37- -لينتون، رالف (1967) الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة :عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت.

38- -هرسكوفيتز، ميلفيل .ج (1974) أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة : رباح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق.

39- - Burns , Edward (1973) Western Civizalition , New York .

40- - Freidl ,John (1977) Anthropology , HarperandRowPublishers, New York .

41- Anderson, John (1984) Conjuring with Ibn Khaldon: from an Anthropological point of view, Leiden .

42- Barnouw , Victor. (1972) Cultural Anthropology , Home wood Illinois, Irwen Inc.

43- Boorstin, Daniel. J (1985) The Discoveries A History Of Man's Search to Know his World and Himself .Vintage Books edition .

44- Darnell, Regna and editor (1978) Reading in the History of Anthropology, University of Illinois .

45- Mauduit, J. A (1960) Manuel d,Athngraphie , Payot , Paris

46- Nicholson, C. (1968) Anthropology and Education , London.